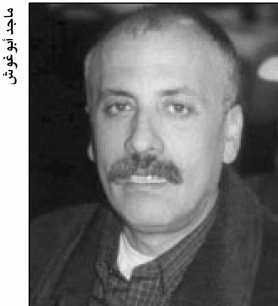


1

### في ظل غياب مناخ الحرية والممارسة الحقيقية للديمقراطية

## المثقف بين التقرير الهادف والتغيب المنهج

كيف هي العلاقة بين المثقف والسلطة ولماذا يبقى المثقف الذي ينتقد السلطة وينشد ثقافة حرة رهين الهامش وإلى أي مدى يتمتع المثقف العربي بحريته في بلده، وما هي انعكاسات هذه العلاقة السلبية على المجتمعات العربية؟  
طرحنا هذه التساؤلات على نخبة من المثقفين العرب فجاءت إجاباتهم كالتالي:



هشام آدم



محمد سعيد الريحاني



مجاد أبوغوش

### ■ عقيلة ر. الحلقة الأولى

#### هشام آدم كاتب وروائي سوداني

### "المثقف يعاني من أزمة الهوية"

■ هناك إشكالية محددة في تعريف الثقافة على أساس أنها شكل واد من أشكال المعرفة البشرية، والتي بدورها تعمل على ترسيخ أساسيات التفكير المنطقي، وزيادة الوعي بالمدرك العام، والذي هو عبارة عن مخزون العقل البشري الناتج عن إفرات الحراك الاجتماعي، والسياسي، والطبيعي، ولا توجد تفصيلية تجعلنا نفوس لتعريف الفارق بين الثقافة والحضارة والمعرفة لأنها دائرات متداخلة، فالمعرفة تشكل ثقافة، والإنسان صاحب الثقافة هو الذي يصنع الحضارة، وإذا فالمعرفة هي الأساس الفلسفي لمجموع المنتجات الواعية. ولأن معطيات المجتمع تؤثر على الإنسان مادة هذا الحراك والمنتج الحقيقي له، فإن هذه المعطيات تدخل بطريقة غير مباشرة في تكوين هذا الوعي وتشكيله أو قوليته حيث لا يستلزم الإنسان عموماً، والمثقف بصورة خاصة أن يعيش معزل عن هذه المعطيات الخارجية. ومن نافذة القول إن هذه المعطيات هي شكلها الجسدي المتغير تتسلسل إلى معطيات موضوعية وهي كل ما يحيط للإنسان من مادة تساعد في تشكيل هذا الوعي العام أو ما يسمى بالوعي الجماعي والتأثير عليه. وهذه المعطيات لا يمكن السيطرة عليها، بل هي التي تولد لدينا نزعة البقاء، وتجبرنا على خوض صراعاتنا على أساسها. ومعطيات ذاتية وهي التي تشكل الوعي الفردي، وتلعب دوراً كبيراً في تحديد اتجاهات وميول الأفراد بمثابة عن الصيغة الجماعية، وفي الغالب فإن هذه المعطيات الذاتية هي التي تعطي السمة الاختلافية بين كل فرد وآخر في تعامله بالصراع. وجزء من هذه المعطيات الذاتية يدخل بشكل فاعل في بناء الشخصية الفردية، والتي هي من أهم الخصائص التي يعتد عليها علماء النفس في تفسير الظواهر السلوكية.

ويعا أن لا شيء ساقط في هذا الكون، فإن المعرفة والوعي والمعطيات الخارجية (المادة) هي بتغيير وحركة مستمرين، فلنأخذ نرى تطور الوعي والمعرفة، وتولد حضارات على انقاض حضارات أخرى بائدة، إذا فهو شكل من أشكال المعرفة يعبر بمناز بالجدد، وفي اعتقادي الخاص فإن أزمة المثقف العربي تتمثل في أمرين غاية الأهمية هما: الصراع مع السلطة على اعتبارها شكلاً من أشكال القهر الفكري الذي يجعل حركة التعامل مع المعطيات الخارجية أكثر صعوبة وأقل سلاسة، وبالتالي فإن عملية تشكل الوعي أو - إذا جاز لي التعبير - عملية الاستفادة من الصراع المعرفي المتجدد تتباطأ، مما يخلق نوعاً من العجز الزمني أو التفاوت بين المتغيرات المادية والوعي الفردي للمثقف. وعندما لا يكون المثقف مواكباً لهذا التغيير المتسارع تنتفي عملية الصراع القائمة أصلاً على نظرية الأندثار والاستحداث، فتصبح المعطيات المتسارعة معطيات لا قيمة لها ولا جدوى لعدم تماثلها مع الواقع المعاش، كما أن صراع المثقف مع السلطة ينتج في الأساس عن رفض الوعي بالتسليم لقوالب معرفية جاهزة مسبقة الصنع ويصرف المثقف عن صراعه مع المعطيات الخارجية والحركة المتجددة بصراعه مع السلطة. وإذا اعتبرنا أن السلطة شكل من أشكال المعطيات فإن حضور الصراع في جزئية واحدة من منظومة جزئيات، فإنها تؤدي إلى عدم المواءمة أو ما يسمى بالوعي السلبى الذي ينتج في حضور أدوات المعرفة في شكل واحد من أشكالها المتعددة.

كأن إشكالية الهوية هي إحدى المعوقات التي تجعل المثقف العربي يقع تحت أزمة خفية ناتجة عن عدم قدرة المثقف على الوقوف على قاعدة انتمائية محددة، وتتشأ ضرورة الانتماء عن فكرة التمثيل الواعي التي تساعد في تشكيل المعطيات الذاتية، حيث تعمل هذه المعطيات على تحديد الميول والاتجاهات الفكرية والمقائدية كذلك. وقد يتغير سلوك الفرد العقلي بحسب ما تحمله عليه ثقافته من الفكرية، حيث تعمل الهوية والانتمائية على تكوين بنية وعي لدى الفرد للتوضيح: شعراء العصر الجاهلي "ر" شعراء صدر الإسلام "إن لكل مؤسسة اجتماعية شكلها الوعوي الذي يميزها عن أية بيئة

التاريخ". تلك الوظيفة التي قد تلين وتضعف كما يمكنها أن تتعاظم وتتسلط "فتصبح وساس وعصا وأمراساً تسلطية" كان التجسيد الحي لها "هنتر و"وكاسا" و"بينوتشي"...  
إن الخلود للتاريخ وحده، أما حصص الثقافة "وحصص" السلطة "تمساروتان" وعليه، فإن "تدني كفة الثقافة" "صالح" علو كفة السلطة "لا يمكنها أن تشير إلى إلا الظروف المواتية والموضوعية للثقافة والمثقفين والثقافة. ويمكن حضور موطن الخلل هذه في ثلاث نقاط: النقطة الأولى: وتتمحور حول كون المثقف العربي الذي يناهض السلطة على "المستوى الرمزي"، لا يقوم بالدور الموازي لهذه الوظيفة على "أرض الواقع" -تليست للمثقف العربي ثقافة تبني المواقف الشجاعة مما يحدث حوله وما يعبر عليه من قرات وما يشهد عليه من شطط. إنه يتبنى المواقف ضد أعداء الوطن من الأجانب "فقط ولكنه لا يستطيع فعل الشيء نفسه مع أهل السلطة "من أهل البلد..."

النقطة الثانية: وتتمركز حول الميول العربي الذي يحارب السلطة داخل نصوصه التخيلية من خلال التعددية اللغوية، وتنوع زوايا النظر، وتفسير السرد ولكنه لا يستطيع رفع أصغره اعتراضاً على ما يحدث حوله...  
النقطة الثالثة: المثقف العربي يعيش في الهامش لأنه يعجز عن المواجهة على أرض الواقع ليتفرغ للكتابة وهو لا يبيح حجم 67 من الأمة في العالم العربي وحجم دورهم التعليم والتعلم لدى الفئات المسوسية في المجتمعات الرسمية فئات متعلمة...

قد يكون التمهيش الذي يعيشه المثقف العربي عقاباً ذاتياً يمارسه المثقف على نفسه، نوعاً من المأزوقية ولكن تهميش المثقف العربي في الآن ذاته يبقى صناعة عربية "بامتياز تتفذن الدول العربية في صياغتها وعبأتها وتبادل الخبرات حولها فيما بينها...  
الحرية" قيمة محورية تتمركز حولها الثقافة في كل مكان وكل زمان، ولكنها ليست المحور الغالب للأعمال الفكرية والإبداعية والتقديرية العربية إلا إذا كانت الحرية "مقرنة باستقلال الوطن ومقارعة المحتل أو كانت مقرنة بتقييدها الثابت" العبودية "والأسر" أما الحرية الحقيقية المرتبطة بتحرير القوى والأصوات العبيقة داخلنا عبر مصالحتها والمصالحة معها من خلال توحيد القول والفعل، وتوحيد الفكر والقول، وتوحيد الفكر والفعل، وتوحيد الصوت والصورة...فتأكد تكون نادرة في الثقافة العربية.

الحرية" بمعناها الكامل، إن، تقضي التحرر من الخارج ومن الآخر ولكنها أيضاً تقضي تحرير الداخل، تحرير الذات، إلا فما جدوى التحرر من المعمر ومن الآخر مع الحياحة كميلاً من الداخل؟  
المثقف العربي قدكرو هو ولكن حين يسعى لتحرير من حوله يتعرض لآخرى أشكال الأذى المادي والرمزي...  
أهم انعكاسات هذه العلاقة السلبية على المجتمعات العربية هو التقرير الهادف والتغيب المنهج للمثقف الذي يؤدي حتماً إلى تزييم وتغيب القيم والضمير واحتضان القوضى والاستبداد...

إن حرية المثقف في بلده رهينة بحرية أبناء بلده حوله. أما حرية الجميع، مثقفين وجماعيين، فتبقى رهينة بقيام مؤسسات راعية للحرية وسن قوانين ضامنة لها، وتحرير التعليم والإعلام والبحث العلمي والإبداع بكافة أشكاله من سلطة المركز والواحدة والقوار الفردية...

المثقف الحر في مجتمعاتنا العربية المدي مغلق أمامه، فهو محروم من حضور المهرجانات ومن النشر بشكل لائق ومستثنى من عملية الترجمة ومن الظهور على الشاشات المحلية في أغلبية الأقطار العربية

#### محمد سعيد الريحاني "كاتب مغربي"

### "الثقافة خصم السلطة، وموازن القوة بينهما دائماً غير متكافئة"

■ تظهر السلطة حين تختل العلاقة بين جبهتين ويعتل التكاثر بين طرفين أيا كانت هذه الجهة وأيا كان هذا الطرف فتتغير الأدوار طبقاً لوضع الاكثاف الجديد فتتحول الشخصيات إلى راع ووعية وتحول الثقافة إلى رسمية وشعبية وتحول الجغرافية إلى مركز وهامش... السلطة إذن هي "ممارسة عنف رمزي"، بتعبير بيير دي بورديو، لكن أول علامات السلطة هو "القبول" -بها ويعنفها، فتأتي بدأ القول بعنفها تجذرت السلطة واستمدت ومعنى وأفضت وعورضت، كسرت شوكتها ورويت جديها، وهذا بالخريف، دور الثقافة، على الأقل في مفهومها العبادي: بمقرنة العلاقات الإنسانية، مقاروة والتفاوت والهيمنة في الإنتاج الرمزية، الانتماء بالشكالات التواصل الانساني ...  
السلطة صفة تتعلق بالضغط في تقرير الأمور وتبدير العلاقات والتحكم في المصائر والانفراد بالرأي... ولذلك فهي تتلون حسب مجال اشتغالها، فقد تكون سلطة سياسية أو دينية أو ثقافية أو عرقية أو غيرها ...  
ولأن الثقافة هي في الآن ذاته ضمير الإنسانية والمدافع عن الحرية والعدل والمساواة، فإنها تبقى الخصم المقترض الأول للسلطة التي يستحيل تصورهما دون إرادة في الهيمنة والامتلاك والاحتواء لهذا السبب، كانت موازين القوة بينهما دائماً غير متكافئة: فتفتى ضعفت السلطة وخفت بريق صداقيتها، تقوت الثقافة ودوى صوتها في كل مكان كما حدث في روسيا القيصرية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ ومتى تعاطت السلطة وعلا شأن رجالها، تقزمت الثقافة وقل تأثير المثقفين كما هو الحال في البلدان العربية مجتمعة ...

في علم الفلك الحديث، يقدر العلماء نسبة الأجسام المرئية في الكون من كواكب ونجوم وسديم ومذنبات وشهب ونيازك بن ستة في المائة أما الباقي وهو أربعة وتسعون في المائة من الكون فيبقى لما كان يوصف في الماضي بـ"الفراغ" -وصار اليوم يعرف بـ"المادة السوداء" وب"الطاقة" -وهذا المثل بلوغ للعامة كما أن هذه النسبة هامة جداً لأننا نستصافها أيضاً في علم النفس عند تقسيم الذات الإنسانية إلى ثلاثة أقسام يهيمن فيها "الاشعور" على أربعة وتسعون في المائة بينما يتروك الستة في المائة المتبقية لـ"الشعور" والآنا الأعلى...

انتهت بان هذه النسبة التي تتحكم في الكون والعقل البشري هي ذاتها المتحكم في مصائر المجتمعات والأمم قاطبة، فليس "الاشعور" في حياة الأفراد غير "التاريخ" في حياة الأمم؛ وليس "الآنا الأعلى" غير "الثقافة" أو "الضمير الإنساني"؛ وليس "الشعور" شيئاً آخر غير وظيفة الموازنة بين "الآنا الأعلى الجماعي" و"حركة

أخرى، فالعصر الجامعي يمتاز في سجله بالفكر الروتني وباستئثار المادية على السلوك التفكيرى لديهم لذا نجد أنهم يعبرون عن واقعهم بشعور ملتصق تماماً بهذه الفكرة كما نجد أنهم لا يؤمنون إلا بكل ما هو مادي محسوس يرونه باعينهم المجردة أو بأدوات المعرفة الحسية. لذا فهم لا يؤمنون بالغيبيات ولا بالمثاليات التي جاء بها الإسلام لاحقاً. والإسلام جاء بمعطيات فكرية مثالية جديدة تعتمد على القوى الروحية والقوية والغيبية والمشيئية، فنجد أن شعراء صدر الإسلام وتحديداً المخضرمين (منهم تغير شكل الوعي لديهم لتغير انتمائهم. إضافة إلى إشكالية الهوية والصراع مع السلطة لدى المثقف العربي، فإن هناك إشكالية لا تقل أهمية عن هاتين الإشكاليتين ألا وهي إشكالية اللغة وأزمة المصطلحات. وفي اعتقادي فإن اللغة بشكلها الحالي عاجزة عن التعبير و لا توازي المد الفكري المادي الذي نماه في هذا العصر إن اللغة - في نظري - تستمد قوتها من شكل الوعي وليس العكس. لذا فلنأخذ نرى ظاهرة محاولات التعريب والتي غالباً ما تكون قاصرة وعاجزة عن التديل والتوفيق بين ماهية الأشياء والتعبير عنها لفظياً. وهنا يتعلق الأمر برباط الوعي بالمادة التي هي مصدر التغذية البيئية لها. ولا غرابة إذا كنا نستخدم ألفاظاً من لغات أخرى للتدليل على ماديات لم ترتبط بها عقلياتنا أو تكراراً للتوضيح اللغة العربية هي أكثر اللغات التي يمكن أن تعبر عن العلوم الإنسانية والمعاني الروحية والغيبية لأنها مرتبطة بها فكراً. اللغة اللاتينية هي أكثر اللغات التي يمكن أن تعبر عن المعاني الطبيعية والماديات لأنها مرتبطة بها فكراً. وعلى المثقف العربي أن يحاول تحليل هذه الإشكالات بنوع من الشفافية ليتمكن من ممارسة الوعي بشكل أكثر نضجاً وأكثر مواكبة للتغيرات اليومية.

#### مجاد أبوغوش "شاعر عضو الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين"

### "التمن في بعض البلدان العربية مرتفع عند انتقاد السلطة"

■ حسب رأيي يجب أن تكون العلاقة بين المثقف والسلطة علاقة وحده وصراع وأن لا يكون المثقف بوق للسلطة ولا خاس هدم لبنائها، وهذا ينطلق من دفاع المثقف الدائم عن الحريات وعن حقوق الجماهير الواسعة، وطبعاً هذا يختلف من بلد عربي لآخر فالتمن في بعض البلدان العربية مرتفع عند انتقاد السلطة القائمة وهذا بشكل طبيعي يؤدي إلى تهميش هذا المثقف وعزله والتعظيم عليه وحتى تجويعه، السلطة بشكل عام تطلب الخضوع التام من الموظف وهي تحارب حرته في الإبداع، المثقف الموظف في أي سلطة حتى لو كانت ثورية لا يقدم نمسا مبدعاً، وطبعاً يكون تأثير هذه سلباً على المجتمعات العربية لأن هذه الأنظمة تقدم للجماهير جانب واحد من الصورة الجانب الذي تريد (مثل الفضائيات الرخيصة التي تملأ بيوتنا وتعرض علينا لونا وأحد من الفن والثقافة ينقل للعولمة والنمط الاستهلاكي في الحياة والفن الهابط،